المنفى

مسرحية من ثلاثة مشاهد

بقلم حميد سعيد

المشهد الاول

(غرفة صغيرة شحيحة الضوء في مدينة ما ، فيها سرير وكرسي وطاولة عليها كتب ودفاتر . النافذة الوحيدة للغرفة مغلقة وتطل على باحة ضيقة ، محاطة بعمارات تحجب عن الغرفة نور الشمس . في النافذة كتب وجرائد ومجلات قديمة وادوات حلاقة وزجاجات فارغة . قرب السرير طاولة صغيرة واطئة ، مغطاة بصحيفة ، وعليها زجاجة خمر وقدحان وصحن فواكه ، وبعض حبات من اللوز الاخضر ، او المشمش الهندي ، وراديو صغير .

الغرفة جزء من بيت كبير رطب قديم ، يوحي بالكآبة والعزلة . على احد جدران الغرفة مشجب ، علقت عليه ثياب شاب عازب . وتحت الثياب صحف لصقت بالجدار لتحميها من الغبار والرطوبة ، على الجدار المقابل للنافذة ، صورة امرأة مسنة بثياب الريف ، وقربها ساعة جدار معطلة ، وتحت السرير حقائب غطاها الغبار .

على السرير يستلقي شاب بقميص صيفي ، بلا ربطة عنق ، يشبك يديه تحت قفا رأسه ، ويحدق في السقف والجدران .

هو وحيد يسمع صوته والصدى . عالمان وحيدان في غرفة واحدة ، وقليلا ما يلتقيان)

الصدى : (صوته يسع الغرفة ، وكأنه طالع من الجدران والسقف والارض بكلمات بعضها من نشيد الانشاد) « صوت حبيبي هوذا آت طافرا على الجبال قافزا على التلال . حبيبي هو شبيه بالظبي او بفغر الايائل . هوذا واقف وراء حائطنا يتطلع من الكوى ، يوصوص من الشبابيك » .

الشاب : (لنفسه) ها قد مضى عامان يا مدينة الحجارة . نوم ويقظة وطعام وتسيار فوق الارصفة . على هذا السقف ، وفوق هذه الجدران الصامتة ، نقشت احلامي وبالحبر الاسود زوقت كلمات للتي احبها قلبي . غير ان الجدران ما تزال راسخة كثيفة ، تنهض بيني وبين العالم .

الصدى : (خافتا وبعيدا) « الشتاء قد مضى . الزهور ظهرت في الارض . بلغ اوان القضب وصوت اليمامة سمع في ارضنا » .

الشاب : لماذا انا حزين في ازمنة الفرح ، وحيد في عصر الجماهير ؟ ولماذا بيتي هجرته الطمأنينة ؟

الصدى : (يتابع وكأنه الروح السري . الشاب ساهم) « في الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي طلبته فما وجدته . اني اقوم واطوف في المدينة ، في الاسواق وفي الشوارع ، اطلب من تحبه نفسي . طلبته فما وجدته . وجدني الحرس الطائف في المدينة فقلت ارأيتم من تحبه نفسي » .

الشاب : عامان قد مضى على هجرتي (يرنو نحو صورة الام) وقريتي الان بعيدة خلف المدى . ترى كيف تبدو اليوم روابيها، وقبورها البيضاء الممددة تحت الريح والمطر . (يتوقف) تلك التي لا يعرف موتاها الحزن ولا الكآبة (ينظر نحو طاولة الكتب) اين تقطن الان وغدا وبعد غد المرأة التي يحبها قلبي ؟

الصدى : (تنتهي مقاطع نشيد الانشاد . ويبدأ التحدث بكلمات اخرى) داخل نفسك ، تقطن امرأة بيضاء ناصعة وطرية كزهر الياسمين . حارة ونحاسية كعذراوات افريقيا ، تتجدد مع الفصول ولا تهرم . تحمل الطفولة والنضج ، ولحمها مصقول كورق القطلب المخضر ، تعرف العلامات ، والبكاء والصمت ، وتزدري الجنس البشري الابله . لا امجاد لها ، وفجر كل يوم تولد كما الشمس . ليست قديسة ولا عاهرة لكنها وطنك الخاص .

الشاب : (ما يزال مستلقيا ، وعيناه تدوران في الغرفة) حلم قرب حلم . حتى تراكمت الاحلام . زرعتها على السقف والجدران والشوارع . فوق فساتين النساء العابرات في الشوارع ، وفوق دفاتري . احلام حملتها من هناك ، من وطن الشمس والمرارة لانثرها فوقك يا مدينة الحجر والمنافي (ينهض بهدوء . ويجلس على حافة السرير . يتناول سيكارة ويشعلها) والان ها هي تهرب كما يهرب هذا الدخان (يبتسم بازدراء) وها انت تتلف هنا كجرذ البواليع، تنفمس في الحبر ، وتنتظر نساء القديس انطونيو ليسقطن عليك من السقف .

الصدى : امرأة قادمة ، مضيئة كالشمس ، عذبة كالمطر .

الشاب : (يصب بعض النبيذ في قدحه ويشرب) ولم يكن معك غير الاحلام ، ومدينة شهرزادية تقوم خلف التخوم . مدينة غامضة تطرز للغرباء اسرارا ، لنقدمها في مواسم احزانهم ، جواريها مرمر ضاحك ، يعشقن لفح الشمس في وجهك ، ولمعان الوجد والشهوة في عينيك البريتين ، والناس كل الناس فيها اصدقاء . (ينهض ويتجه نحو الطاولة يفتح كتابا ويقلب صفحاته ، يرميه ويتناول اخر يضعه فوقه . يعمر الكتب فوق بعضها البعض على شكل مستطيل مغلق) انك تسكن في الوسط في نقطة تقاطع القطرين (يشير باصبعه الى النقطة) فوق عرش من فراغ ، وتجري تجارب للغثران والارانب المحبوسة في رأسك . وعصر كل يوم تنتظر نتيجة التجربة .

الصدى : امرأة قادمة ، مضيئة كالشمس ، عذبة كالمطر .

الشاب : (يشرب) وتقول جدران الكتب الداخلية : ايها السيد، ضوييء نفسك من داخل وهاجر في البشر . كل الانوار في الخارج كاذبة ، وكل العلائق رايات ممزقة لوثها الغبار والدم ، يحملها جنود مقطوعو الارجل ، محمولون على عائدة من الحرب . اهجر جسدك فالعشاق قد ماتوا . ومن لم يمت لا يتحدث الا عن نفسه . المرأة عن احذيتها وثرياتها ورموش صديقتها الاصطناعية ، والشاعر عن قصائده الخاصة المجيدة ، وقصائد العظماء الذين ماتوا ، السجين عن ايام الرعب التي مرت به ، وبائع البرتقال عن برتقال جاره الفاسد. المنفى ... المنفى .. ذلك هو العالم .

(يسمع صوت مفتاح في الباب الخارجي ، ثم صوت كعب امرأة تلج الصالون . يجلس الشاب على السرير . تدخل الفرفة صبية جميلة . بيدها حقيبة ودفاتر) .

الفتاة : (تدخل بسرعة . تلقي التحية وترمي حقيبتها ودفاترها فوق السرير) كيف انت ؟ (تعود للحركة بحيوية داخل الفرفة. تقلب الكتب تقطية لارتباكها فقط . تشعل سيكارة ثم تجلس على السرير. طريقتها في التدخين تنم عن لامبالاتها . وتنم اكثر عن استجالة تواصلها مع العالم . وخلال حديثها في الغرفة تبدو مشتتة الذهن . مشدودة الى عالم اخر غير مدرك . كلماتها غير مترابطة ، وتثب من موضوع لاخر بدون مبرر . وهذه العفوية تؤكد اكثر طفولتها امام العالم، وعدم نضجها ، كما تؤكد عدم قدرتها على التواصل مع الاشياء) .

زيد : كيف انت ؟

امل : (بسأم ولامبالاة) عادية . لم نمت بعد !

زيد : (ينظر الى ساعة الجدار) تأخرت ؟

امل : ساعتك معطلة . أخرتني صديقتي . يتنازل الانسان احيانا بالرغم منه لرغبات الاخرين . قالت انها تريد تبديل حقيبتها السوداء. اغلق الباب (يتحرك نحو الباب ويغلقه) . أنا أحب اللون الاسود ، اما هي فعلى طرفي نقيض مع خطيبها . اين صديقك ؟

زيد : خرج . (يصب لها بعض الخمر ويشربان بصمت) .

امل : زيد لا استطيع البقاء طويلا . ينتظرون عودتي . انني جائعة منذ الصباح لم أشرب غير القهوة . وهذا الدخان . المدرسة لا تطاق . (تطفىء سيكارتها من منتصفها وتتناول شيئا تأكله) .

زيد : منذ شهور ونحن هكذا . تأتين خطفا ، لا اكاد أراك حتى تغيبي . لو تدرين ما انت بالنسبة لي !

امل : المهم ان يرى احدنا الاخر . ابن خالي سمير قدم من البحرين ويحمل هدايا من اخي . زيد ما رأيك بتسريحتي .

زيد : (يشرب) نخب شعرك والهدايا والحقائب السود(يضحكان) ولكنني اود ان اسألك سؤالا : لماذا ترحلين بسرعة دائما ؟

امل : (تبتسم بعذوبة تلقائية) كثيرا ما كنت اتساءل انا ايضا . الا تعتقد ان ذلك مجرد اعتياد؟ خمرة ، وكلمات وسرير . ما الذي يبقى بعد ذلك ؟

زيد : شيء اخر يجيء بعد هذا كله ، لم نبحث عنه يوما .

امل : اقول لك لنتزوج فتقول : الزواج يهدم المسرات ، ويقتل الحب . والزمن القصير يخلق وضعا افضل .

زيد : نحن نتقابل فقط ، ومنذ شهور طويلة واحدنا لا يكاد يعرف الاخر ، اننا وحيدان يا امل على نحو رهيب . ولست ادري اين يكمن العطب فينا .

امل : ربما كنت تعقد الامور . الحياة هكذا . وانت تعلم مدى الحب الذي بيننا .

زيد : (بهزء وحزن) اجل اعرف . وما اعرفه لا يباح به.سيظل سرا . تحفظه جدران هذهالغرفة . لكن ما اعرفه اكثر اننا نعقد بعضنا يوما اثر يوم . ذلك ما تقوله الكلمات الميتة ، والعيون الخابيةالوميض.

امل : اتعتقد ان الامور قد وصلت هذا الحد ؟

زيد : خلال الايام الاولى ، خيل الي انني اكتشف نفسي فيك . غمرتني كل افراح الارض وانت تتحدثين عن الشعر ، والمدن البعيدة ، والحرية التي تخرق حدود الاخرين ، وحب الفقراء الريفيين (يصمت) . يومها صرخت فيك بنشوة مشتعلة : اتمنى لو اطير بك حتى نلامس الغيم ، احملك تحت جوانحي ونهرب معا . نبني معا وطن المسرات ، ونستولي على الزمن .

امل : (تبدو حزينة . تشرب وتدخن) يا للذكريات الرائعة التي لا تنسى !

زيد : منذ دخلنا هذه الغرفة بدأنا يوما اثر يوم نحس العزلة والانفصال . ومع الايام صار يكفينا حفنة من الوقت . لم نعد نقرأ شعرا ، ولا نتحدث عن احلامنا ، وامتدت المسافة بيننا عمقا . بصمت بتنا غرباء .

امل : انك تتحدث وكأننا متنا . لماذا تقول ذلك ؟ هل انتمريض؟

زيد : (بنزق) لست مريضا . انما الامور هكذا . الاشياء قائمة بيننا على تخوم الكذب . اننا مجرد اتفاق مصدع .

امل : (بلوم) ولكنك تعرف انني احبك ، ولهذا آتي اليك !

زيد : لو ان امامك مرآة (يتناول مرآة حلاقة من النافذة) خذي هذه وانظري الى نفسك كيف تلفظين كلمة حب . انها تخرج بنفس الطريقة التي ينادي بها بائع الخضار على خضاره . انظري الى المسافة بيني وبينك على سرير واحد !!

امل : (تشرب) يا لك من طفل . اشعل لي . رأسك يختزن افكارا سيئة ومضجرة . نخب الايام التي مرت (يشربان) (تنظر نحو الكتب) هذه كتبك هناك . لماذا هي هكذا ؟ عندما كنا اطفالا صغارا كنا نعمر بيوتا من الحجر على هذ النحو (تضحك) .

زيد : مجرد طريقة في التسلية بدأتها كي يمر الزمن . البشر في هذا العالم يملكون تلالا من الزمن لا يعرفون كيف يبددونها . يغرقون فتتراكم ولا تنقص . واذ يتعبون يستلقون تحت شمس الايام المطمئنة. يغفون ويحلمون بالجزر والجواري العاشقات ، واذ نسأم منهن نشتري كتبا ، نعمرها ونتسلى بالنظر اليها . اليس عزاء ايتها العزيزة ان نشاهد الاشياء التي نحب قائمة ولا ندخل فيها ؟

امل : (تضحك) وانت هل تحلم بالجزر والجواري العاشقات؟

زيد : لم اعد احلم بشيء .

امل : وفيما مضى ؟

زيد : كنت طفلا . احلم بملكية العالم . ومع الزمن سقطت تلك الرغبات في مغاور نفسي . وهناك نامت .

امل : والان ؟

زيد : تساوت الاحلام والحقائق . وكل شيء صار يرى عن بعد.

امل : اتؤمن بالاحلام ؟

زيد : الاحلام والحقائق متشابهة . فكما تأتي الاحلام على نحو موارب ، كذلك الحقائق .

امل : ما الذي تعنيه بالمواربة ؟

زيد : اثنان . أي اثنين احدهما ملهوف ووحيد والاخر ناقص ، وكلاهما يشكو ويرغب احدهما (يتوقف) لنقل يبحث عن وطنه بطريقته الخاصة ، والاخر يرتضي الحياة بلا مقاومة . وفجأة يلتقيان . تلك هي المواربة .

امل : (تشرب وتمضغ . تبدو منعتة بغير اهتمام كاي) لم افهمها .

زيد : (يتناول من جيبه سكينا . يفتحها . يرفع صوته) هل امسكت يوما مقبض سكين وادليت شفرتها في الماء (يدلي شفرة السكين في الكأس فيبدو على الفتاة الذعر من رؤية السكين) انظري الى القسم المغمور في الماء كيف يبدو لك ؟

امل : منكسرا .

زيد : هذه حادثة المواربة (يرفع السكين) .

امل : ولكن هذه اسمها حادثة الانكسار .

زيد : هذا في الفيزياء الضوئية . انا اتحدث عن الامور من داخل وخارج ، في الفيزياء النفسية . ان قسما من السكين يظل خارج الماء لهذا يبدو الانكسار . دعي السكين تسقط وترسو في القاع ، تبدو لك سكينا سوية .

امل : ماذا يعني ذلك ؟

زيد : هذا ما يحدث في الحياة . نطعن بالنصل ويظل المقبض في يدنا (يداعبالسكين بين أصابعه) وهكذا تظل اثار البصمات التي تكشف (يغرس السكين في تفاحة . تخرج منها صرخة . فترة صمت) ان احدا لا يرسو في الاخر . لا يستطيع .

امل : (تنزع السكين) خبىء هذه المدية الملعونة (تضحك ضحكات غريبة مذعورة ثم تصمت فجأة) انك تتحدث كما لو كنت تمثل (تتناول كأسها) نخبك ، ودعنا من المواقف المؤثرة . الانسان حزين . وانا اريد ان ارقص لك الان . (تقف ، لتبدأ رقصة ايقاعية . تبدو خلالها متنشية . تتطور الرقصة من البطء الى السرعة ، الى حالة من الحمى ، ترقص خلالها الغرفة ، ثم تدور . الرقصة مزيج من الخوف والشهوة والفرح (وهي في قمة نشوتها تصرخ : « خذني الان . انني لك ») وتستمر في الرقص . يقف على باب الشرفة مستندا اليه ، وبيده الكأس وهو يتملاها . فجأة يضرب الكأس بجدار الصالون الخارجي فيسمع لتحطيمه ضجة تناثر . تعود الرقصة بعد فترة الى التخامد التدريجي مع الموسيقى الى أن تسقط على الارض في حالة من الاغماء . يرفعها ويمددها على السرير) .

***

(الغرفة نفسها بعد انقطاع زمني وجيز . الفتاة على السرير لم

تستيقظ بعد . والشاب على كرسي قرب الطاولة مديراً ظهره لها . يكتب بعض الكلمات في دفترها) .

الصدى : كالشرارة في ليل متجمد ولد حب وانطفأ . كذلك هي أفراح الارض . على جراحك مرت الشرارة ولم تلتقطها . لو كثفتها خلوداً وهربت ليال متجمدة أكثر قسوة وليس فيها رقص . ستمر . والى أبد بعيد ستظل الحياة تعبر قربك ولا تلقي التحية .

زيد : (يقلب صفحات الدفتر . تستوقفه كلمات متقطعة كتبت على شكل مذكرات مطوية . يقرأ) :

« الحياة سيئة والناس يراقبون كل ما يجري في حينا ... متى تنزع امي لباسها الاسود ، وتلك الشريرة التي يسمونها اختي ... اوف كم أكرهها وهي تصرخ بصوتها الحاد الفيور : الى اين تخرجين في مثل هذا الوقت يا امل ..... منذ سافر خليل وانا احس انني مساوية . ربما كنت اعلم ما اريد ، وربما لا . ان غيابه ليشكل جرحا في نفسي . لماذا لم يكتب منذ رحيله . هذا البيت خانق وفذر. اريد بيتا واسعا نظيفا . مفروشا فيه موسيقى وحب . الحب حكاية قديمة ساحرة ، لكنها اليوم ميتة . عندما نحب علينا أن نرقص لدرجة الاعياء . فقدان الذاكرة هو الحب .

ليست لدي فكرة نهائية عن الحياة . انما انا احبها . احب النهارات والليالي والفجر والزهور وحركة المرور والثياب الجميلة . واحب ... لا أود ان اذكر اسمه . دعيه في مكان ما . يقول : انني طفلة ، غير واعية ، فاقدة الحنان ارغب الالعاب الصغيرة ، ولم أدرك مرارة الحياة ، وسرها الكبير . هيه ... ربما كان ذلك صحيحا . ولكن اسرار النفس لا يكشف عنها بسهولة . وانا أعرف انه يكذب قليلا كما اكذب انا .

الاربعاء حادثة غير عادية ١٥ ـ ٤

منذ هجرنا خليل . قليلا ما عاد هذا الرجل الى بيتنا . ان وجهه القاسي ليذكر بالسفاحين . عيناه خامدتان حمراوان . واعتقد ان قلبه مزيج من الفولاذ والخمر وقهقهات النساء العاهرات . كم مضى عليه بعد ان ترك امي ؟ لا ادري لكننا جميعا انا واخوتي بتنا نحسه غريبا . انني أشعر بالخجل ان يقال لي : ابوك .

منذ دخل . دخل الذعر معه . انه يرتبط باذهاننا بالدم والغضب والضرب المبرح لامي . لماذا جاء الى البيت ؟ وما الذي يريده ؟ ان حياتنا تسير طبيعية في غيابه . لسنا بحاجة لماله ولا لرؤية وجهه الوحشي . ترى هل جميع الآباء في العالم مثله ، يا للرجال القذرين عندما يثملون ! ... انني أكرههم ، أكرههم حتى الموت .

ليلة ١٦ ـ ٤ بعد الحادثة

حاول ان يعتذر لامي عن سلوكه ، لكن امي صمتت ولم تجب . قال لها ان ابنك حاول قتلي بالسكين . ربما كنت سيئا يا مريم . ولكن الامور يمكن ان تصحح . كانت امي كالحجر . تمنيت لو اتيح لي ان اجيب عنها : ايها الرجل الخائن لقد مزقت سنوات الحب ودمرت حياة الاسرة ، انت لا تصلح لهذا البيت ، ولا لهذه الحياة . تصور-بنات صغيرات طالعات على العالم ، العالم المتوحش القذر ، يعشن بلا اب . لهن اب سكير يطارد عاهرات باب شرقي ... وباب المصلى ... اخرج من هذا البيت . اننا نرتضي الفقر على المهانة ، ويرتضي اخوتي التشرد والغربة على العيش مع اب مثلك ...

يوم بلا تاريخ

انني ارفض الزواج . شباب انيقون يدخلون بيتنا ويأكلونني بعيونهم النهمة . يريدون جسدي . انا جميلة وباردة . سوف اعطيهم هذا الجسد الاف المرات وفي غيابهم اكتفي ذاتيا . ربما كان ذلك سيئا . لكن هذا ليس اسوأ من هذه الحياة . ساتعلم حب نفسي وعشقها ومع نفسي فقط اكون حارة . الناس لا يستحقون الا الازدراء واللامبالاة . والاشياء الرائعة مفقودة . قوم منحطون انانيون يحيطون بي عندما اراهم يخيل الي انهم خارجون للتو من المستنقعات . رائحة جلودهم كرائحة جلود القرود الوسخة الكثيفة الشعر . أسأم من ذلك الغريب يوما ولن اقول له كلمة . سامضي حتى النهاية في اتلاف حواسي . الحياة بشعة ... بشعة وقلبي اسود كثوب امي الحزين .

(يغلق الدفتر . يشعل سيكارة . ويدير كرسيه . امل متكئة على السرير وهي تنظر اليه)

امل : (بابتسامة مرة) هل انتهيت ؟

زيد : (يومىء برأسه فقط) .

امل : هل اعجبتك ايها اللص ؟

زيد : (ينهض ويسير في الغرفة بخطوات وئيدة) كم هي مؤلمة الاشياء الخصوصية وكم هي حقيقية . أمل انت ... (يتوقف) لا شيء ... لا شيء .

امل : زيد ، هل لك اب ؟

زيد : لا . ابي مات منذ زمن بعيد . كان فلاحا يحرث الارض ويسقيها في النهارات المشمسة . وفي الليل كان يضمني اليه في خيمة صيفية من القصب ، تهزها الريح ويتسرق خلالها ضوء القمر . ولكي انام كان يغني لي ، ويقص حكايات عن ابي زيد الهلالي ومجاعات بني عثمان و ...

امل : (وهي تحاول النهوض) لا بد انه كان قاسيا ؟

زيد : وكان يشرب الخمر .

امل : (وقد صارت على ارض الغرفة) وكان يضرب امك . ويكسر كؤوس الخمر .

زيد : نحن شظايا تلك الكؤوس يا عزيزتي .

امل : والشظايا لا تلتحم .

زيد : ابي كان ضحية امرأة غبية ، وكان يقول ما تقولينه الان . احب الارض وكره امي و ... (يتوقف اذ يراها غير مهتمة بما يحكي).

امل : علي ان ارحل . (صمت) .

زيد : هل سمعت برجل اسمه تشيخوف ؟

امل : كان ابا ايضا ؟

زيد : كاتب قصص كتب قصة عن سائق عربة مات ابنه . حاول بث احزانه للناس فسخروا منه ولم يسمعوه ، فحكى القصة لحصانه.

امل : الناس يملون آلام غيرهم .

زيد : قبل ان ترحلي خذي الكتاب (يناولها اياه) الالام الخاصة هي الحواجز .

امل : (وهي تهيىء نفسها للخروج) فات الوقت . وداعا . (تخرج) .

المشهد الثاني

(الغرفة نفسها . الشاب يتجول في الغرفة ببطء . يفتح النافذة وينظر منها الى الخارج مليا . يرمي سيكارته ثم يعود نحو الطاولة . يهدم الكتب ثم يتقدم نحو الجدار ليحمل الساعة ويقذف بها من النافذة . حركاته تشعر بالمحاصرة والاحساس بعدم التوافق) .

الصدى (يعود . يبدو ان الشاب يسمعه ولا يسمعه احيانا . لا ينتبه للكلمات التي تصدر منه ويجري بينهما احيانا حوار تلقائي يبدو غير مقصود) في العالم الناقص تفكر بالاشياء الكاملة والمرأة وطن ضائع . في جزر الكتب والدوران الشخصي تعيش الناس ، يحيون وانت تحلل . اما تعبت عيناك من التحديق نحو داخل الاشياء ؟

(يقول الصدى الجمل بفترات قصيرة متباعدة وببطء مؤثر) .

الشاب (يستلقي على السرير) عامان يا مملكة الحجر واللحم السائب والاحذية وما تزال تأتي . لم تأت يوما قبل . ككل الاشياء تجيء متأخرة . امرأة ضائعة رائعة الجسم تبعد عني مليون سنة ضوئية . عامان وانا الذي اجيء باكرا انتظرها مذ كنت نطفة في رحم امي وهي تكذب . تبعثر الزمن بالاشياء القائمة في العالم خارج غابة الحب ، وانا استمع اليها باتفاق كاذب حتى لا ترحل .

الصدى : المرأة وطن ضائع والعالم سفينة كذب. خشبها وحديدها مسهوران بالكذب. بحارتها كذبة تمخر بحرا من الكذب وانت مبحر فيها.

الشاب : لنتحدث عن الاشياء الرائعة يا حبيبة . تقول : ما هي الاشياء الرائعة ؟

ها . ها . ما هي الاشياء الرائعة ايها السادة ؟

اقول : الاشياء الرائعة هي ما يحدث بين رجل وامرأة . بين انسان وآخر .

تقول : وماذا يحدث بين رجل وامرأة ؟

اسمعوا : ماذا يحدث بين رجل وامرأة . عم يتحدث رجل وامرأة في غرفة سرية ومغلقة ؟ لا . ان ذلك مجرد نكتة عابرة . (فترة صمت) الناس منسجمون جداً . متفقون جدا . غير مهمومين . الرقص يملأ حياتهم ونفوسهم تجيش بالمسرات الجوانية . لا تصدقوا ان الشاعر يتحدث عن قصائده المجيدة ، ولا بائع البرتقال عن برتقاله الجيد ، ولا النساء عن الاحذية والتسريحات والاغاني المنحطة . انظروا انا وصديقتي الرائعة نتحدث عن الحب والشعر والمعاني العظمى (خلال ذلك يبدو ثملا لكنه غير ثمل بالطبع) انكم ترون وتعيشون ذلك ولا شك ايها السادة الطيبون .

الصدى : المرأة وطن ضائع وصديقتك تهوى غيرك .

الشاب : مغلقة نفسها بالاحذية والصور والفساتين ورائحة الخمر.

الصدى : تعشق شقيقها ، وتعيش بعيدة عنه .

الشاب : صديقتي مجزأة لم تبن وحدة .

الصدى : المرأة وطن ضائع وهذه ليست مثالك .

الشاب : اين نقطن المرأة التي تحبها نفسي ؟

الصدى : في جميع النساء . في المستحيل . وراء حدود التجزئة .

الشاب : ومن تكون هذه ؟

الصدى : طفلة صغيرة معزولة هدم مثالها اب يخون .

الشاب : كلنا يخون .

الصدى : وكلكم ذراري رمل زمن التحامها متأخر .

الشاب : هذه المرأة حزينة وانا حزين .

الصدى : اقتلها في نفسك .

الشاب : انا انسان وحيد وشاعر .

الصدى : اصنعها بعد الموت من آلامك الخاصة .

الشاب : ذلك وهم . الحياة مشروع وهم .

(يدخل صديق زيد دون ان يشعر به بينما يكون في حالة من الانهاك والمحال النفسيين . يسمعه وهو يترنم بكلمات حزينة) .

زيد : بشروا بالفرح العظيم يا سادة الصحارى ،
وليكن رقص في جميع المدن المزدهرة .
ابنوا من الشمس والمطر والياسمين اوطانا كاذبة ،
وفي كل مكان ارفعوا رايات المسرة .
اما انا فرجل مهجور ماتت فتاته
ولا حصان لديه .

(يتقدم الصديق حذرا نحو الكرسي ويجلس بهدوء . زيد لا يراه . يدندن الصديق مقطعا من قصيدة « مكادي » للشاعر عبد الباسط الصوفي) .

الصديق : « مكادي انا والشراع الصديق وقيثارتي
غربة وارتحال
افتش عن وعلة خبأتها اقاصي التلال
افتش عن شهرزادي
وعن قطعة من فؤادي
أفتش عنك مكادي »

(عندما يبدأ الصديق بمقطع القصيدة ينتبه زيد ثم ينهض ويستمع) .

سعد : ما رأيك بهذا الشعر ايها الصوفي ؟

زيد : رائع . منذ متى وانت هنا ؟

سعد : منذ بشرت بالفرح العظيم .

زيد : كنت اهذي . هاه .

سعد : (يبتسم) اما جاءت مكادي ؟

زيد : جاءت ورحلت (يدخن سيكارة) نطارد اوهاما يا سعد ، ونحن فاشلون بالضرورة .

سعد : انت فاشل . هذا صحيح .

زيد : وانت ؟

سعد : لست رومانسيا على اية حال ، الخمر والنساء والايام التي تمضي ينبغي نهبها . عليك ان تقتنص رغباتك قبل الموت .

زيد : يبدو انك ما تزال مستمرا في صفقتك مع الحياة والبشر .

سعد : الناس هكذا والعالم ماض باعوجاجه . وانت لست نبيا .

زيد : قليل من الاخلاص والصدق الداخلي ليس نبوة .

سعد : ماذا تود ان تثبت ؟

زيد : ان احيا في وطن لا خيانة فيه .

سعد : انني اذكر هنا ما يقوله رامبو :

« الدم الوثني يعود ،
وانا انتظر الله بشراهة .
انا من جنس يرفض كل ابدية ،
وبي ذعر من الوطن ،
وها انا اغادر اوروبا الملعونة.
سوف اسبح ، اقضم العشب ، اصطاد وادخن بصورة خاصة ،
واشرب خمورا كمعدن مصهور ، كما كان يفعل اولئك الاجداد
الاعزاء حول النار »

زيد : انك تتقن القاء الشعر . دخن (يناوله لفافة) . ولكن قل لي هل كان هذا الشعر خارجا من المعاهدات اليومية والتنازلات ؟

سعد : كان رامبو لامباليا ولم تكن الاوطان تعنيه . ليكن ما يكون خارج النفس ، اما انا فاريد ان اعيش .

زيد : انت فقط تحفظ اشعارا جيدة لشعراء كتبوا اشعارهم بالدم والاخلاص ، لتلقيها امام النساء التافهات . اما حياتك (يخرج نهنهة ساخرة) .

سعد : الناس يحيون ، اما انت فتقول الشعر وتحلم بوطن مطهر . اليس لديك غير هذه الخمرة النسائية ؟

زيد : في الحقائب عرق (معدني مصهور) . عرق تين من الريف. ام انك تريد شيئا من الوسكي الخاص ؟

سعد : ها . ها . هذه خمرة قذرة وقاتلة . (يتناول زجاجة النبيذ ويحاول ان يصب لنفسه فيرى في الكأس بقايا) لا بد ان مكادي كانت هنا حقا . ولكن قل لي ما رأيك بالمرأة ؟ (يصب لنفسه ويشرب) .

زيد : اية امرأة تعني ؟

سعد : (يقلب صفحات كتاب) اية امرأة اعني ! المرأة في هذه المدينة وكل المدن .

زيد : (يرفع كتفيه لامباليا) اخبارهن لديك .

سعد : وتلك التي كانت هنا .

زيد : لا اعرفها .

سعد : (مفتعلا الدهشة) انت وامرأة في غرفة مغلقة وخمر . ولا تعرفها . ها . ها . لقد فهمت . لا بد انك حدثتها عن نفسك كثيرا، توجعت عن آلامك وغربتك في هذا العالم . ثم رويت لها مقاطع من رواية الصخب والعنف ، واسمعتها اشعار باسترناك . وخلال ذلك بدوت كئيبا . الم يحدث ذلك يا عزيزي ؟

زيد : بلى . لقد حدث ذلك كله بالضبط وكأنك كنت مقيما في هذا الجدار .

ـ التتمة على الصفحة ٥١ ـ

المنفى

ـ تتمة المنشور على الصفحة ١٤ ـ

سعد : (يشرب ويضحك) هكذا انت ابدا . تعيش وتحلم ، تغني وتبكي امام الاخرين (صمت قصير) يا عزيزي انت احمق . المرأة لا تريد رجلا من هذا النوع . اسمع : هل تحدثت لك عن اشيائها الخاصة ؟

زيد : لا . كانت منصتة طوال الوقت وانا اثرثر عن نفسي.

سعد : الى الشيطان . انت لا تعرف كيف تصيد امرأة . المرأة تود أن تكون مركز العالم وانت تدور حولها . تدور . اتفهم (يومىء زيد موافقا) فصل لها من الوهم اثوابا ومعاطف فرو والبسها احذيه لماعة . عدها بسهرات ليلية في اقبية الرقص الحالمة (يشرب سعد ويشعل سيكارة) مهد لها طريق الزواج بزهور من كذب واتركها تتحدث عن صديقاتها وطفولتها واخوتها . وخلال ذلك احسن الصمت والاستماع . ثم بعد ذلك تسير الامور كما ينبغي . انا شخصيا افعل اكثر من هذا .

زيد : ولكن كيف يستطيع الانسان حمل كل هذا الركام من الكذب؟

سعد : هيه : عندما تموت طفولة الريف في نفسك . ويخمد عرق الدين من حقائبك (يبدأ حركات هازئة من زيد ثم يلقي كلمات استعراضية)

انا قادم من الريف المشع ،
من وطن البراءة والطفولة التي لا تنمو .
انني شاعر احمل في روحي المنوحشة
صدى الصدق والغضب
لحمي احمر كجذور الصنوبر
وقلبي الذي طهرته أشعة الشمس
لا يهوى غير امرأة واحدة .

ها . ها . هكذا تنشد نفسك ولا شك في مدن التويست والمال والنساء المباحات .

زيد : انما انت الذي تنشد هكذا ، والامر بالنسبة لي مختلف بالتأكيد . ان هذا ليس وطني .

سعد : زيد . انا اعرف المدن اكثر منك . اعرف المدن والناس وأعرف الصلات والسلوك والمداخل والمخارج . أنت ماذا تعرف عن التجار والمصلين وحياة العائلات البرجوازية السرية . ماذا نعرف عن الموظفين القدامى واصحاب ومتعهدي الابنية وملاك السيارات ورواد المراقص الليلية ومراهقي ومراهقات اندية الليل ؟ هؤلاء هم ملوك المدن وابناؤها الشرعيون . اما انت فجرذ صحراوي يعيش في الطرف المهمل من العالم .

زيد : اتريدني ان اكون منهم ؟

سعد : او ننتحر (لحظة صمت يشربان خلالها) ماذا تعتقد اذن ؟ انريد ان تحيا بالشعر والبراءة والانفراد ؟ نملك العالم بالكلمات ؟ هم . هراء . ان للكلاب الضالة في الشوارع قيمة اكبر من الشاعر هنا .

زيد : لكن يخيل الي أن الامر مع تلك المرأة (يتوقف) يبدو على نحو مختلف .

سعد : انت تحبها ؟

زيد : هي لا تعرف كيف تحب .

سعد : لا تفهم كما ينبغي .

زيد : انما هي مغلقة . لا ادري ما هي الكلمة التي يجب ان تقال هنا .

سعد : رجل خيالي صاف وشفي .

زيد : بل هي امرأة مطعونة تنزف جراحها من الداخل .

سعد : ها . عدنا للطعن والجراح والعطب والالتواءات النفسية. اخي المدن هكذا ونساء المدن هكذا . انت تريدها ام تريد نفسها ام تريد ماذا ؟

زيد : لا تتحدث على هذا النحو الاختياري . الشوارع مليئة . انا لا اريد جيفا . لا اريد . اتفهم . (يبدو متأثرا ويتحدث بغضب) انت تأكلهن فتشعر بالراحة . تصاحبهن فتشعر بالرضى . هذا وطنك اما انا ...

سعد : (يقهقه عاليا) اما انت فتحمل روائحهن في جسدك وفي نفسك . يقتلك الغثيان والاحساس بالبهيمية . ها . ها . (تمر فترة صمت لا يجيب زيد . يتكىء على السرير ويحدق نحو السقف بينما يستمر سعد) من بين ربع مليون انثى خصك الشيطان امرأة رائعة ، ناضجة وغضة ، وتريد ان توفرها . باسم ماذا ؟ باسم التواصل . هيه . مرحبا بتواصل . انا شخصيا آكلها وادير ظهري . هذه هي المدن ايها البدوي المسطول .

زيد : (بهدوء) انت وحشي . لا تفهم ماذا اعني .

سعد : (يشرب) في مدننا لا يحيا الا المفترسون .

زيد : انني اكرهك . واكره وطنك . اتعلم لماذا ؟

سعد : لم ... (بصمت) .

زيد : لانك تعتقدني طفلا صغيرا يحلم بالاشياء الصغيرة . لست طفلا ولا رجلا يبحث عن الفرائس . لست بدويا ابله ولا ريفيا يهذي بضوء الشمس . ولا شاعرا افردته الكتب . انما انسان عادي من الريف والمدن يبحث بضوء عينيه عن وطن في انسان يحبه نفسي .

(فترة صمت) والان عليك ان تخرج من هنا . تحت قدمي وطنك الملوث هذا . (يصاب بنوبة انفعال ويصرخ في وجهه) اخرج اريد وطنا نقيا . وطنا يسطع كالشمس بلا كذب ولا خيانة . اخرج من هنا . اخرج .

سعد : (وهو ينسحب) سوف اخرج ولكن انت ستقتلك الوحدة هنا .

(يخرج سعد)

زيد : (يهدأ بعد خروج سعد بلحظات) سأظل هنا بين جدران الحصار حتى انحول جرذا ثم قطعة اثاث ثم ذرة غبار تقف فوق شواهد قبوركم ايها الاحبة الخارجون من ابواب نفسي الى الصحارى الفاصلة بالناس والتجزئة .

الصدى : نفس مصدعة تبحث عن مثال وعن وطن ضائع .
منذ ادم نهض بينها وبين العالم سد ،
اقترب منها يبتعد وتشيل
كذلك كان . كذلك سيكون .

زيد : سلام ايها الناس الاعزاء
سلام اينها اللغة
وسلام يا مدن الغرباء القاسية .

المشهد الثالث

(الغرفة نفسها ... الكتب مبعثرة ... بعضها ممزق ... والسرير فوضاه تبدي اثار عراك وعليه بقع دم . على الارض سكين ملوثه ايضا بالدم ... في زاوية الغرفة جثة مغطاة بشرشف ابيض تظهرها الكاميرا دون ان يرفع عنها الغطاء . وزجاجه فارغة مكسورة . تدور الكاميرا في الغرفة لفترة تخلق خلالها جوا تأثيريا يوحي بان جريمة قد وقعت في الغرفة . خلال ذلك يسمع صوت الصدى مع حركة الكاميرا) .

الصدى : قبل الاف السنوات وعلى ضفاف احد الانهار ... في الشمال البعيد حدث مثل ذلك . لكن ما حدث هنا مختلف كما ترون (صمت) .

هذه ارض التخلخل والنور الاسود ...
كل ما قيل وما يقال عن الشموس الساطعة ...
والدفء
والاحلام
باطل .

هذه ارض الموت والحسرات الابدية .

(تتوقف الكاميرا بعد ذلك على رأس الشاب المنكب فوق الطاولة، الذي يستيقظ من اغماءته . وجهه هزيل وشعره مبعثر . يبدو في اقصى حالات التعب . وهو يستفيق يتابع الصدى بعض الكلمات) .

تلك الكتب اللعينة المنتشرة كابليس
الافكار الشريرة الحقيقية التي تخترق
سديم النفس والكثافة
نفذت كالرمح وقالت لك : كن فكنت
ثم تحولت الى قوة مادية سرت فيك كالدم
وقالت لك : افعل ففعلت
انت قاتل الان . ولكنك مطهر .

الشاب : (متكئا على الطاولة ومحدقا في الجدار) لست أدري كيف حدث ذلك . وكل ما أعرفه انها لن تدخل هذه الغرفة بعد اليوم . لن اسمع صوتها الدافيء وكلماتها المبحوحة ، ولن اسمع قلبها وهو يدق تحت راحة كفي (يرفع يده اليمنى ويتفرس باصابعه) هيه ... بهذه الاصابع خمد وجيب ذلك القلب ... أيه يا لجسدها الابيض والاحمر . كم كان رائعا وهو ممدد فوق البلاط والدم يغسله ، وكم كان مجيدا عنقها الوعلي الخامد . وعيناها البحريتان ساكنتان كنجمتين في سماء مطفأة ، وقد نامت فيهما كل حكايانا القديمة .

الشوارع في اماسي الصيف والناس يعبرون وهي تقول : احلم ببيت جميل هادىء ، وموسيقى ، وكتب ، وبحر اخضر ، وافول : بيت منفرد ، تسبح على نوافذه المشرعة سيول المطر ، وتهزه الريح ، وفي كل يوم يولد حب في نفوسنا لا يموت ، ولا نمل .

وتسألني : أتمل يا صديقي ؟

فأهز رأسي وابتسم ، وخببا نعبر الشوارع .

لم يكن ذلك بعيدا . لكنه الان ابعد من جميع المجرات .

هو الان في الاماكن العصية على التجسيد . في منطقة الرؤيا الممددة بين الحلم واليقظة ، في الدم والفقد واصل الانسان .

الصدى : لقد قتل ذلك الشاعر المجنون من اجل الغيرة
وانت قتلت من اجل التطهير
ولكنك تعود وحيدا كما كنت
معلقا في فراغ العالم وفي سماء وطنك .

الشاب : كان يجب أن يحدث ذلك منذ زمن بعيد . انني قاتل من نوع (يتوقف) ذلك هو السخف اللانهائي . ان ما حدث مجرد من اي معنى . هو قتل فقط ذلك ما يفهمونه .

الصدى : هذا الفتى قتل وطنا يحبه
مهووس من نوع خاص
جاحد من نوع خاص
لكنه ليس الها كما ترون (صمت) .
من داخلي اصابه
تحللت فيه الامور
ثم انحلت
قتل امرأة احبها اكثر من ضوء عينيه
انظروا اليه انه يبكي ، لكن فرحا في اتساع الارض
يسري في سهول نفسه

الشاب : ليات ذلك الشيء الذي طال انتظاره . يداي ملوثتان وقلبي يخفق . لم يبق خمر ، ولا امرأة ، ولا صديق والعالم يعود الى حالة الصحو .

الصدى : من اجل ان يكون حب
اكثر من اي وقت مضى
من اجل تكوين وطن جديد
يبنيه اثنان على هذه الارض
في مستقبل الزمن

حدث ذلك .

(يدخل الغرفة رجل غريب . يرتدي وشاحا اسود . ونظارة سوداء . لا يحيي . وانما يقف في وسط الغرفة . يقف الشاب لدى دخوله ، يتفرسان ببعضهما مليا)

الشاب : ها . قد قدمت اخيرا . انني انتظر قدومك منذ زمن طويل . اعرف انك ستأتي وها انا جاهز يا سيدي .

الغريب : حزين من اجلك ايها البطل الصغير .

الشاب : فات اوان الحزن يا سيدي . انا انسان طبيعي لا اشعر بالذنب . انني على اهبة الاستعداد .

الغريب : لماذا تتعجل الامور ؟

الشاب : يجب علي تسهيل مهمتك . انت رجل مسؤول وتتقاضى اجرا من اجل هذه الامور ، ثم انت تنفذ امرا ليس الا ، وعلى نحو ما انت مثلي .

الغريب : نحن متشابهان ؟

الشاب : ربما . يخيل الي .

الغريب : ما وجه الشبه بيننا ؟

الشاب : (يفكر قليلا) نحن محكومان .

الغريب : انت ترى ذلك منفردا ، وهذا ما حدا بك الى ما حدث .

الشاب : الذي ينفذ أمرا من داخل، او ينفذه من خارج، ينفذه على انفراد ، خلال مسافة زمنية من الاختيار الحر .

الغريب : انا مؤمن بلوائح معينة ، وضعت لضبط الناس ، انقاذا من لوائح الغاب . ولهذا فانا اختار بحرية مؤمنة .

الشاب : اتعتقد انني قاتل ؟

الغريب : هذا شأني .

الشاب : (يفكر قليلا) اريد ان اطرح عليك سؤالا اذا كان لديك وقت ؟

الغريب : اجلس . ثمة وقت .

الشاب : اتحب وطنك ؟

الغريب : من الذي يكره وطنه ؟

الشاب : سؤال اخر : اتعرف ما هو الوطن ؟ سؤال مضحك اليس كذلك ؟

الغريب : (يضحك) ايسأل الانسان عن بديهية ؟ هل في العالم انسان لا يعرف ما هو الوطن ؟

الشاب : (يهز رأسه) انك ترى كم نحن متشابهان !

الغريب : كيف ذلك ؟

الشاب : كوننا غريبين على ارض واحدة .

الغريب : انا اعرفك .

الشاب : وانا اعرفك .

الغريب : اثنان يعرفان بعضهما ليسا غريبين !

الشاب : ذلك ما حدث بالضبط . اثنان عرفا بعضهما زمنا . واحدهما قتل الاخر . ذلك ما يحدث كل يوم .

الغريب : الا ترى انك رجل غريب الاطوار ؟

الشاب : لكنك لم تسألني لماذا حدث ذلك ؟

الغريب : (يصمت يتناول سيكارة ويناوله) كيف حدث ذلك ؟

الشاب : حالة خاصة ايها الغريب ، رأيت حلما لا يمكن البوح به . في ليلة قاسية ، وكنت منفردا في هذا المنفى الذي تراني فيه . تذكرت امي وابي اللذين ماتا . كان قد مر علي سنوات من التأمل والعيش المادي والفقر ، واذ التقيت بتلك المرأة شعرت انني سأعوض بها عن امي وابي وعزلتي وفقري . اكلنا معا وشربنا . وفي فراش واحد تعرينا . حكيت لها وحكت لي . حدثتها عن العالم فحدثتني عن نفسها . كان الناس قد مزقوا حياتها ، اردت ان افتح لها مجرات في نفسها لترى من داخل وتتواصل . حاولت معها ان تنسى الناس والاشياء الصغيرة التي لا معنى لها . قلت لها : لنبن نفسينا معا ،

ولننشد بقوة . لكن نفسها كانت مصدعة . جرحتها السنون ، والحروب الطويلة ، وتقاليد القوم القديمة . لم تكن حرة ، ولا تعرف الاختيار ، وعندما نكون في هجرة النشوة والرغبة ، كان جسدها معي ، ونفسها في مكان اخر . كنا مفصولين كشجرتين بعيدتين في صحراء حارة ، ومعا كنا نقاسي الهجير والعطش والعزلة المميتة .

ذلك ما كان . والان انتهى كل شيء . لقد حدث ما ينبغي ان يحدث . غاب جسدها عن العالم كما يغيب الومض .

الغريب : كنت تحبها ؟

الشاب : اكثر من نفسي .

الغريب : والان ؟

الشاب : ستولد في نفسي من جديد . سأبنيها كما يجب .

الغريب : ذلك ما عنيته بالوطن ؟

الشاب : هذه فكرتي عنه في مجال ما .

الغريب : ولماذا لا تؤمن بالتطور ؟

الشاب : التطور . رائع هذا . واذا قلت لك انني اؤمن بالزمن !

الغريب : التطور هو الزمن .

الشاب : هيه .. التطور هو النقيض ، والزمن هو الثورة . على الانسان ان يبدأ بسرعة ، وان يكون عمله مدهشا . عليه ان يبدأ من خلاله هو وبذلك يقهر الزمن .

الغريب : عليه ان يقتل ؟

الشاب : ليمتلك الزمن عليه ان يقتل (صمت) القتل هو امتلاك الاشياء بغير نقص ، والتطور رضوخ . ابن نفسك أولا وطهرها ثم بعد ذلك ارفع صوتك عاليا ، وقل : انا الوطن .

الغريب : ثمة لوائح وشرائع ؟

الشاب : ان تبني وطنا بطريقتك الخاصة ، تلك هي الحرية المطلقة ، واذ تقتل فانت لا تقتل جسدا ، انك تقتل مفهوما وشرائع غير مجدية ، لتقيم مكانها معاني جديدة للحياة ، ووطن يرسف باغلاله القديمة ، وغربة قومه ، وطن يقوم على الحدود والتجزئة والفواصل الكاذبة ، وطن تافه كهذا يجب قتله ليولد الوطن الاخر الذي نريد . ذلك هو الاختيار الثوري من وجهة نظر معينة (يصمت) هل سوف تعذرني وانا اتحدث عن الكيمياء النفسية ؟

الغريب : ولكنك قتلت امرأة ؟ (ينزع نظارته السوداء)

الشاب : من وجهة نظرك الخاصة المحدودة ؟

الغريب : هو ذا دمها (يشير نحو بقع الدم)

الشاب : ولكنها في نفسي على نحو اخر وجديد .

الغريب : لست حرا في قتل الاخر . ان جثتها هناك .

الشاب : انني انتظرك يا سيدي .

الغريب : (يفكر) لكن ما قلته يبدو معقولا على نحو ما . هو يدعو للارتباك ، لكنه غامض على نحو اخر .

الشاب : عليك الا ترتبك . يجب ان تملأ السجون بالقتلة ومن هذا النوع . ذلك ما يقوله العطب فينا .

الغريب : انت شاعر ؟

الشاب : كنت شاعرا .

الغريب : ان ذلك ليدعو الى الجنون . الامور معقدة بشكل لم يحدث لي سابقا . (يتحرك حركات تنم عن الحيرة والدهشة) .

الشاب : عليك ان تنفذ ما امرت به . لقد اعترفت لك .

الغريب : ان ابليسا يقطن فيك ، دمه دم قاتل ، ونفسه مصوغة من لعنة الشعر .

الشاب : لان عليك ان تفعل شيئا . فانت لا تسمي الاشياء بأسمائها ولانك موظف انت تتهمني . الا ترى انك لا تفهمني كثيرا ؟

الغريب : (دهشا) ولكنك ارتكبت الفعل ولم تهرب ؟ وها انت تقف امامي وتعترف (يتوقف عن الكلام) غير ان كلماتك اللعينة تبدو مقنعة .

الشاب : هو حلم ليس غير . وما تراه امامك ليس اكثر من مسرحية . أتعتقد ان بوسع الشاعر تجسيد افكاره ؟

الغريب : وهذا الدم . وهذه السكين . ثم هذه الجثة ؟

الشاب : هل سألت نفسك ان كنت واهما ام لا . وفي حالات صعبة كهذه هل تستطيع الاختيار ؟

الغريب : ولكنني احمل امرا بالقبض عليك .

الشاب : ذلك لانك لست حرا . وهذا ما ينبغي في مثل هذه الظروف الصعبة . ان الاطفال يتضورون جوعا .

الغريب : قد تكون افكارك صحيحة .. لا . لا . اردت ان اقول لو ان افكارك صحيحة .. لكن هذا شيء اخر (يصمت) ملعونة هي الافكار . انا رجل عملي واتقزز من الشعراء الملعونين (يخلع وشاحه الاسود فتظهر تحته ثياب بيضاء كالثلج) .

الشاب : ماذا تعني بالشيء الاخر ؟

الغريب : ما اعنيه ان الافكار شيء مختلف عن العالم الذي نعيش فيه . ولكن كما ترى ما ان ينسى الانسان قليلا وظيفته في هذا العالم حتى (يتوقف قليلا) هل اقول انه يشرف على عالم اخر جديد .

الشاب : ان كنت تستطيع احتمالي قليلا سأقص عليك نبأي .

الغريب : (يجلس) هل لديك لفافة (يعطيه سيكارة) ما الذي حدا بك لان تحكي ؟

الشاب : ثيابك الناصعة التي ترتديها تحت وشاحك الاسود .

الغريب : لاقل انني مرغم على سماعك ، فرغائب المحكومين الاخيرة مقدسة ، ذلك ما تقوله اللوائح .

الشاب : منذ سنوات . اعتقد انها تمتد الى بداية احساسي بهذا العالم ، وانا أدرب نفسي على القتل . أعلم نفسي على تخطي الشرائع التي وضعت للانسان المتوحش فقط ، متجاوزة الانسان الذي يفهم ويحاكم ويختار . وكنت اتساءل : ما جدوى قيم وتقاليد واحكام وضعت للاغبياء والمصروعين والضعفاء وكل الاجناس الإخرى المنحطة . واي وطن هذا الذي تحكمه مثل هذه الشرائع البلهاء القاسية المعادية للحرية؟

خلال تلك السنوات تدربت على المشاهدة ، والتجربة ، والدخول ما استطعت الى وهاد النفس البشرية . ومع اي امتياز خاص يستعبدني ، ويغلني ، ويحولني الى جنس منحط ، قطعت صلاتي . لقد تعودت ان اصبح وحيدا وان اكون حرا . تلك كانت بداية التجربة.

الغريب : حرمت نفسك كل شهوات العالم أيها الاحمق .

الشاب : وكان لا بد لك من تحديد علائقي مع الناس . فهم هناك قائمون ، يمسون ، ويدينون ، ويتهمون . وبيني وبينهم مجرة كونية .

هذا الشهر :

بدر شاكر السياب

مختارات من شعره

قدم لها :

ادونيس

منشورات دار الاداب

كنا نرى بعضنا فقط ، ولكني لم اكن اكرههم ، هاجرت فيهم ، وعلى احزانهم كنت مشفقا . رأيتهم يبكون في ساعات الضحك ، ويضحكون في لحظات المرارة ، شاهدت الزمن يفتالهم بعدد الثواني التي تعبر في نهاراتهم ولياليهم ، وبدت لي حياتهم تمضي بين الاطعمة والنوم والاحذية والسجود والطمأنينة الخادعة .

الغريب : (لنفسه) يا للرجل الغريب . انه يدير رأسي حتى لا اكاد افهم ولكن ما يقوله يبدو مقنعا على نحو لعين .

الشاب : (يكمل) قدر راسخ يومي كان يحكم ، التاريخ ، الوراثة الخوف ، الدين ، الوظيفة ، مراسيم الزواج ، وكل يوم يمضي كانوا يقدمون تنازلات صغيرة بحجم حبات الرمل . مع الزمن صار في نفوسهم جبال من الرمل ، استلقوا في سفوحها ، واطمأنوا ، ففدت حياتهم وهما تشع بسراب ، سد عليهم منافذ الافق والرؤية وبعد حين قال استقرارهم الشمس : هذا وطن المسرات .

الغريب : هل انتهى هذيانك ؟

الشاب : انتهى .

الغريب : والان ؟

الشاب : عليك ان تذهب بي .

الغريب : واذا لم اذهب بك ؟

الشاب : أتخون وظيفتك ؟

الغريب : واذا ما خنت وظيفتي ؟

الشاب : يحاكمونك ولا شك

الغريب : أتحب وطنك ؟

الشاب : الان . ربما .

الغريب : سأحكم عليك الان .

الشاب : انت !

الغريب : انـا .

الشاب : أتستطيع ان تحكم علي ؟

الغريب : اجـل .

الشاب : وهل انت رجل اخر ؟

الغريب : ربما . سأحكم عليك الان .

الشاب : لم تعد تخيفني .

الغريب : كذلك انت .

الشاب : تلك بداية حسنة .

الغريب : انت مستعد لقبول الحكم ؟

الشاب : الان . وهنا ؟

الغريب : الان وهنا . هل انت مستعد ؟

الشاب : (ينظر اليه . ويصمت)

الغريب : ايها الرجل الاحمق . انني احكم عليك بالحياة بين الناس فوق ارض هذا الوطن . عليك باحراق هذه الكتب الملعونة . وان تفتح هذه النافذة . وان تمشي في الشوارع وتدخل البيوت والمقاهي وتتحدث الى جميع البشر ، وان تحب وتكره ، وتضحك وتحزن . ترفص وتبكي وتغني . العالم يولد خارج غرفتك وانت هنا . هيا معي هيا (يخرجان . والصدى يتحدث . تبدو السترة السوداء للغريب مرميه على الارض قرب غطاء الجثة الابيض) .

الصدى : (بعد خروجهما) حدث ذلك في حلم طويل
يشبه اليقظة .
وكانت السماء كدرة مغبرة ،
والارض يخنقها ظلام احمر .
وفجأة من سماء النفس انسكب شهاب كالسكين
فتح ممرا ضوئيا رفيعا وخاطفا ،
لونه في لون الدم والثلج
وغار في الارض
حاملا معه بشارة .

حيدر حيدر

ام الباب المغلق

ديوان الشعر المنتظر
للشاعرة العربية الكبيرة

فدوى طوقان

المجموعة الشعرية الاخيرة التي وضعتها شاعرة النكبة فدوى طوقان ، وهي تضم طائفة من القصائد الجديدة المستوحاة من مأساة الشاعرة ومأساة كل عربي مزقته كارثة فلسطين .

صوت ندي بالاسى والدمع يجيئنا من الضفة الغربية ، يحدثنا عن آلامنا ونكبتنا اعمق الحديث وأشده حزنا .
اخر ديوان لصاحبة « وحدي مع الايام » و « وجدتها » و « أعطنا حبا » .

الثمن ٢٠٠ ق. ل

صدر حديثا